# خلق أفعال العباد
# بين أهل السنة ومخالفيهم

إعداد الدكتور

فهد بن عبد العزيز السنيدي

أستاذ العقيدة المشارك - قسم الثقافة الإسلامية

كلية التربية/ جامعة الملك سعود بالرياض

المقدمة

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين: نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن اللَّه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وأنزل عليه القرآن الكريم، وأيده بالوحي المبين في السنة النبوية، فأصبحا مصدرين للعلم، بهما تعرف العقائد، ومنهما تستقى الأحكام، فمن سار على نهجهما أفلح وأنجح، ومن ضيع الطريق، واستقى من غيرهما ضلّ وضاع.

وإن من أعظم الأمور التي حصل فيها شطط كبير بين الفرق مسألة القدر، وما يتعلق بها من أحكام، وبالذات مسألة أفعال العباد، وهي التي سأقوم ببحثها إن شاء اللَّه.

**أهمية الموضوع:**

إن مسألة خلق أفعال العباد من المسائل التي وقع فيها الشطط بين الفرق، فمنهم من جعل الإنسان كالريشة في مهب الريح، ليس له تصرف في أفعاله، وحصل بسبب هذا القول من الويلات ما اللَّه به عليم، ومنهم من جعل العبد خالقاً لأفعال نفسه، وغلوا فجعلوا اللَّه تعالى لا يعلم بفعل العبد إلا بعد وقوعه، وبين هؤلاء وأولئك هدى اللَّه أهل السنة للقول الحق، وهو ما سَيُعرض في هذا البحث.

**منهج البحث:**

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي، حيث قمت باستقراء الأدلة، والنصوص، وأقوال الفرق للوصول إلى الحكم من خلال مذهب أهل السنة.

**الدراسات السابقة:**

من أهم الدراسات وأوسعها كتاب:«خلق أفعال العباد والرد على الجهمية

وأصحاب التعطيل» للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، وقد حققه د. فهد بن سليمان الفهيد، ونشر في دار أطلس الخضراء عام (1425هـ)، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه تقدم بها لكلية أصول الدين – قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ورسالة علمية أخرى في تحقيق كتاب «الأنفاس الرحمانية اليمنية في أبحاث الإفاضة المدنية حول مسألة خلق أفعال العباد» للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت 1182هـ) حققه: طاهر عاتق الباكري في رسالة ماجستير، قدمها في جامعة صنعاء عام (2008م).

وقد أفدت من الرسالة الأولى كثيراً، غير أن بحثي هو في ترتيب تسلسل الموضوع من خلال بيان أفعال العباد، وعلاقتها بالقدر، ثم رصد أفعال العباد عند الفرق، مع ذكر أدلتهم والرد عليهم. وبعد ذلك قمت بعرض هذه الأقوال على مذهب أهل السنة والجماعة، وبينت الحق الذي عليه الأدلة.

سائلاً اللَّه تعالى التوفيق والعون والسداد.

**خطة البحث:**

قسمت بحثي هذا إلى مقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع، ومنهجي في البحث، وثلاثة فصول وخاتمة، أما الفصل الأول، فهو بعنوان: أفعال العباد، وعلاقتها بالقدر، بيّنت فيه مراتب القدر، وبداية بدعة القدر، وعلاقة أفعال العباد بالقدر.

أما الفصل الثاني، فهو عن أفعال العباد عند الفرق، مع أدلتهم حيث عرضت مذهب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة باعتبارهم أهم الفرق في هذه المسألة، وأن جميع الأقوال تندرج تحت أقوالهم.

أما الفصل الثالث، فهو عن أفعال العباد عند أهل السنة مع أدلتهم، وبيّنت أيضاً نسبة الفعل إلى فاعله عند أهل السنة.

أما الخاتمة، فشملت أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

**إجراءات البحث:**

هذا وقد سلكت في بحثي الخطوات التالية:

1- أعرض قول كل طائفة في هذا الموضوع من خلال الرجوع إلى مصادرهم في كل مواضع البحث، ماعدا الجهمية، فرجعت لمن نقل عنهم من العلماء؛ لعدم وجود مراجع لهم.

2- عزوت أقوال العلماء لكتبهم الأصيلة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

3- قمت بعزو الآيات، وتخريج الأحاديث، مكتفياً بعزو الأحاديث التي في الصحيحين أو أحدهما إليهما، وما كان في سواهما ذكرت الحكم عليه.

4- ترجمت للأعلام المتوفين من غير الصحابة في آخر البحث حتى لا أثقل الحواشي بالتراجم، مع اختصار الترجمة لتفي بالغرض.

5- ذكرت أقوال الفرق المخالفة لأهل السنة مع الرد عليهم من كلام أهل العلم.

6- إذا رجعت لرصد رأي معين إلى أكثر من كتاب صغت الفكرة صياغة عامة، ثم عزوت إلى كل الكتب في الحاشية.

وأخيراً أسأل اللَّه تعالى أن يوفقنا لكل خير، وأن يعيننا على ذكره وشكره، وحسن عبادته، إنه جواد كريم.

والحمد للَّه رب العالمين.

كتبه

د. فهد بن عبد العزيز السنيدي

**أستاذ مشارك- قسم الثقافة الإسلامية**

# الفصل الأول
# أفعال العباد وعلاقتها بالقدر

ويشتمل على المباحث التالية:

**المبحث الأول: مراتب القدر.**

**المبحث الثاني: بداية بدعة القدر.**

**المبحث الثالث: علاقة أفعال العباد بالقدر**

## المبحث الأول

### مراتب القدر

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وهو أن تؤمن بالقدر خيره وشره، وأن اللَّه تعالى علم مقادير الأشياء، وأزمانها قبل إيجادها، وكتب في الذكر كل شيء، ثم أوجد ما سبقبه علمه وإرادته[1].

قال سبحانه: (إِنَّاكُلَّ شَيْءٍخَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[القمر: 49]، وقال جل وعلا: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَه تَقْدِيرًا)[الفرقان،من الآية 2].

وفي الحديث المشهور حديث جبريل عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال له: (أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره)[2].

ومما يعلم بالضرورة أن اللَّه هو المتصرف في الكون والعالم بما فيه، ولا يحصل فيه أمر إلا بعلمه وإرادته، ولهذا قسم العلماء مراتب القدر إلى أربعة مراتب، هي:

**أولاً:** مرتبة العلم: وهي الإيمان بأن اللَّه قد أحاط بكل شيء علماً، وأنه يعلم الأشياء قبل كونها وحدوثها، وأنه يعلم ما كان وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: (وَإِذْ قَال رَبُّك لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِد فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَك قَال إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ )[البقرة: 30].

**ثانياً:** مرتبة الكتابة، ومعناها أن اللَّه كتب كل شيء عنده في اللوح المحفوظ، وكتب مقادير الخلق وأعمالهم وأرزاقهم، وكل ما هو حاصل إلى يوم القيامة، قال تعالى: (وَكُلّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُل صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ )[القمر: 52-

(1) فتح الباري (1/ 158).
(2)رواه مسلم ك الإيمان ح (1) [ شرح النووي 1/ 150].

53]، وقال سبحانه: (وَكُلّ ۡشَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ )[يس: 12].

وعن جابر بن عبد اللَّه قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يا رسول اللَّه: بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيمَا العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير أم فيما نستقبل؟ قال :(لا؛ بل فيما جفت فيه الأقلام، وجرت به المقادير)[1].

**ثالثاً:** الإرادة والمشيئة:

قال ابن القيم: «وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند اللَّه، والفطرة التي فطر اللَّه عليها خلقه، وأدلة المعقول والعيان، وليس في الوجود موجب، ومقتضى على الحقيقة إلا مشيئة اللَّه وحده، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن...»[2].

**رابعاً:** مرتبة الخلق:

وهو الإيمان بأن اللَّهﷻ خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا واللَّهﷻ خالقها، وخالق حركتها وسكونها.

## المبحث الثاني

## بداية بدعة القدر

تظافرت النصوص في الكتاب والسنة على إثبات القدر، ووجوب الإيمان به، وأن

(1)رواه مسلم ك القدر ح (6677)،[مسلم شرح النووي 16/ 413].
(2)شفاء العليل (1/ 171).

ما حصل في الكون، وما سيحصل إنما هو بأمر اللَّه، وأنه الخالق المدبر جل وعلا؛ وعلى هذه بعث محمداً ﷺ، وبه علم أصحابه الذين ساروا من بعده، متمسكين بهذه العقيدة، وتلقاها منهم التابعون لهم بإحسان بلا خلاف بينهم، كلهم يؤمن بأقدار اللَّه تعالى، ولا يعارضون ما جاء عن اللَّه ورسوله ﷺ بعقولهم وأهوائهم.

فلما كان آخر عهد الصحابةش، وبالتحديد في أيام الدولة الأموية، ظهر من يتكلم في القدر، وينكر بعض تفاصيله.

وتتمثل بدعة القدرية في مراحل عديدة، بدايتها كانت من مقولات معبد الجهني وأتباعه، ثم غيلان الدمشقي وأتباعه، وتتلخص بدعتهم بأن اللَّه تعالى لم يقدر أفعال العباد، ولم يكتبها إلا أثناء حدوثها علمها، وكانت بدايات الكلام في هذا عام (63هـ)، وهؤلاء هم القدرية الأولى الذين أنكروا العلم السابق، وأن اللَّه لم يقدر أفعال العباد، ولم يكتبها في اللوح المحفوظ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعدما تحدث عن بدعة القدرية الأولى: «ثم كثر خوض الناس في القدر، فصار جمهورهم يقر بالعلم المتقدم، والكتاب السابق، ولكن ينكرون عموم مشيئة اللَّه، وعموم خلقه وقدرته، ويظنون أنه لا معنى لمشيئته إلا أمره، فما شاءه فقد أمر به، وما لم يشأه لم يأمر به»[1].

أما المرحلة الخطيرة من مراحل ظهور بدعة القدر، فهي مرحلة ظهور المعتزلة في أوائل القرن الثاني الهجري، حيث توسعت القدرية، وتشعبت أقوالهم في القدر على شعب ثلاث:

أ. شعبة صارت ضمن المعتزلة القائلين بأن الإنسان مقدر أفعاله، وهو خالقها

(1)مجموع الفتاوى (8/ 450).

ومُنشئها، ولم تقدّر عليه قبل، وهم النفاة أتباع القدرية الأولى.

ب. شعبة صارت في الجهمية الجبرية القائلين بأن الإنسان مجبور على أفعاله، كالريشة في مهب الريح، فلا اختيار له، وهذه هي القدرية الجبرية الخالصة.

جـ. شعبة ثالثة صارت أقرب إلى الجبرية، وهم القائلون بالكسب من الأشاعرة، ومن سار في ركبهم[1].

وسوف يأتي تفصيل القول فيهم.

## المبحث الثالث

## علاقة أفعال العباد بالقدر

بينا أن مراتب القدر الأربعة كل لا يتجزأ، وأن من مقتضيات الإيمان بالقدر الإيمان التام بمراتبه الأربعة، ومن هذه المراتب؛ مرتبة الخلق، والتي تدل على أن اللَّه خلق العباد، وخلق أفعالهم، وأنه لا يحصل شيء من أفعالهم إلا بخلقه وأمره.

ومن هنا كانت علاقة أفعال العباد بالقدر؛ فظهرت طوائف تنكر خلق اللَّه لأفعال العباد بناء على أصولهم الفاسدة، وفهمهم الباطل؛ قال الإمام ابن القيم: «ولما أصَّلت القدرية، أن اللَّه سبحانه لو شاء أفعال عباده وقدر عليها وخلقها، ثم كلفهم بها، وعاقبهم عليها لكان ذلك ظلماً ينافي العدل»[2]، وقال /: «ولما أصلت القدرية إنكار عموم قدرة اللَّه سبحانه، ومشيئته لجميع الكائنات، وأخرجت أفعال عباده خيرها وشرها عن قدرته ومشيئته وخلقه، وأثبتت للَّه سبحانه شريعة بعقولهم حكمت عليه بها، واستحسنت منه ما استحسنته من أنفسها، واستقبحت منه ما استقبحته من نفوسها ،

(1)القدرية والمرجئة، د. العقل (33– 34).
(2)الصواعق المرسلة (4/ 1428).

وعارضت بين الأدلة السمعية الدالة على خلاف ما أصلوه وبين العقل...»[1].

وهنا أود أن أبين أن أفعال العباد لها جانبان مهمان، هما:

1- ما يتعلق باللَّه تعالى، وأنه خالق أفعال العباد كلها من طاعة ومعصية وخير وشر.

2- ما يتعلق بالعبيد الفاعلين، وأنهم فعلوا الفعل على الحقيقة، وأفعالهم قائمة بهم منسوبة إليهم مدحاً وذماً ونفعاً وضراً، مع أن اللَّه هو الخالق لها الموجد لها ولهم.

وهذا هو موضع الخلاف بين أهل السنة والفرق الأخرى التي اضطربت في الفهم والاستدلال؛ كيف يخلق اللَّه تعالى أفعال العباد، ثم تنسب إليهم، ويحاسبهم عليها؟ فجاءت الفرقة في مسألة خلق أفعال العباد بين من ينسب الخلق إلى اللَّه تعالى والفعل له؛ وبين من يقول بأنه الخالق لها، والعباد هم الفاعلون، وبين من ينكر أنه خلق أفعال العباد، ويجعل العباد هم الخالقون لأفعالهم؛ وبين فرقة رامت التوسط والخروج برأي وسط، فوقعت في شر مما هربت منه، فقالت بمسألة الكسب، وحارت فيها أفهامهم وأقوالهم، نعوذ باللَّه من الضلال.

(1)المرجع السابق (4/ 1550).

# الفصل الثاني
# أفعال العباد عند الفرق وأدلتهم

ويشتمل المباحث التالية:

**المبحث الأول: مذهب الجهمية الجبرية وأدلتهم.**

**المبحث الثاني: مذهب المعتزلة وأدلتهم.**

**المبحث الثالث: مذهب الأشاعرة وأدلتهم.**

## المبحث الأول

## مذهب الجهمية الجبرية وأدلتهم

اتفق كل من كتب عن الجهمية[1] أنهم جبرية[2] خالصة في مسألة أفعال العباد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وأول من ظهر عنه إنكار ذلك [يعني أن العبد فاعل حقيقة للفعل] هو الجهم بن صفوان وأتباعه – فحكي عنهم أنهم قالو: إن العبد مجبور وأنه لا فعل له أصلاً وليس بقادر أصلاً»[3] .

وقد ذهبت الجهمية إلى القول بسلب العبد اختياره وقدرته وجعلوه مجبوراً على حركاته وأنها من جنس حركات الجمادات ويجعلون أفعاله الاختيارية والاضطرارية من نمط واحد؛ فارتعاش القلب أو جريان الدم في العروق كحركة الإنسان في ذهابه وإيابه وطاعته ومعصيته فكلها جبر خالص ليس له فيها قدرة أو تأثير؛ فهم يقولون بأن اللَّه هو الخالق لأفعال العباد ولكنهم يسلبون عن العبد الفعل أيضاً [4].

## المبحث الثاني

## مذهب المعتزلة وأدلتهم

المعتزلة هم الوريث الأول للقدرية الأولى الذين سبق الإشارة إليهم لكن اختلفوا عنهم في أن المعتزلة تثبت علم اللَّه السابق بأفعال عباده قبل كونها، يقول عبد الرحيم الخياط المعتزلي: «إن اللَّه جل ذكره لم يزل عالماً بكل ما يكون من أفعاله وأفعال

(1)الجهمية: فرقة ضالة تنسب إلى الجهم بن صفوان الراسبي من أهل خرسان، له أراء ضالة في مسائل الاعتقاد، وقد نشر بدعته بين الناس، مات مقتولاً سنة (128).

(2)الجبرية: فرقة ضالة تقول بنفي الفعل عن العبد، وهي جبرية خالصة لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً أو متوسطة تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة وهم فرق عديدة.

(3)مجموع الفتاوى (8/ 460) شرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى (1/ 457).

(4)مجموع الفتاوى (8/ 444) وينظر: شرح الطحاوية (2/ 639).

خلقه، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء»[1]، وقال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعت المعتزلة على أن اللَّه لم يزل عالماً قادراً حياً»[2].

وقد ذهبت المعتزلة إلى القول بنفي خلق اللَّه لأفعال العباد بناءً على أنهم ينزهون اللَّه عن كل قبيح، ويرتبون على ذلك نفي أن يكون تعالى خالقاً لأفعال العباد، لأن فيها ما هو قبيح، يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: «وأحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقاً لأفعال العباد هو أن في أفعال العباد ما هو ظلم وجور، فلو كان تعالى خالقاً لها، لوجب أن يكون ظالماً جائراً تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً»[3]،ويقول أيضاً: «اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفاتهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن اللَّهﷻ أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها، ولا محدث سواهم، وأن من قال إن اللَّه سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه»[4].

## المبحث الثالث

## مذهب الأشاعرة وأدلتهم

ذهبت الأشاعرة إلى الإقرار بخلق اللَّه لأفعال العباد كما قال أبو الحسن الأشعري:«وأجمعوا على أنه خالق لجميع الحوادث وحده لا خالق لشيء منها سواه»[5]، ويقول كذلك:«وإن سيئات العباد يخلقها اللَّه وإن أعمال العباد يخلقها اللَّه، وإن العباد لا يقدرون أن يخلقوا منها شيئاً»[6]، ويقول اللقاني في جوهرة التوحيد[1]:

(1)الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد (178).
(2)مقالات الإسلاميين (157).
(3)شرح الأصول الخمسة (345).
(4)المغني في أبواب العدل والتوحيد (8/ 3).
(5)رسالة إلى أهل الثغر (254).
(6)مقلات الإسلاميين (1/ 291).

فخالق لعبده وما عمل موفق لمن أراد أن يصل

قال الشارح[2]:«والحاصل أن الناس بعد اتفاقهم على أن اللَّه خالق للعباد ولأفعالها الاضطرارية اختلفوا في أفعالهم الاختيارية فنحن نقول: إن اللَّه خالق لها أيضاً».

وبهذا يتضح أن الأشاعرة وافقوا أهل السنة في القول بأن اللَّه خالق أفعال العباد؛ إلا أنهم خالفوهم فيما يتعلق بالعبد الفاعل هل هو فاعل لفعله على الحقيقة، وفعله منسوب إليه وعائد إليه حكمه مدحاً وذماً أم لا؟

# الفصل الثالث
# أفعال العباد عند أهل السنة وأدلتهم

ويشمل المباحث التالية:

**المبحث الأول: رأي أهل السنة في أفعال العباد.**

(1)ص (217).
(2)وهو إبراهيم البيجوري في تحفة المريد (99).

**المبحث الثاني: الأدلة من الكتاب والسنة.**

**المبحث الثالث: نسبة الفعل إلى فاعله.**

## المبحث الأول
## رأي أهل السنة في أفعال العباد

مما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأن اللَّه خالق كل شيء وأنه ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم اللَّه عليه، مع قولهم إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء اللَّه[1].

فأفعال العباد عند أهل السنة خلق اللَّه تعالى وفعل للعبد تنسب إليه فهو الفاعل لها حقيقة، كما قال تعالى: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ) [البقرة: 286

## المبحث الثاني
## الأدلة من الكتاب والسنة

استدل أهل السنة والجماعة بأدلة عديدة تثبت خلق اللَّه لأفعال العباد فبعضها يدل على خلق اللَّه لهذه الأفعال بطريق العموم وبعضها يدل على أن الآلهة المزعومة من دون اللَّه عاجزة عن الخلق، وهذه بعض هذه الأدلة:

1- قال اللَّه تعالى: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [الأنعام: 102]، وقوله ﷻ: (اللَّهُ خَالِقُ كُلّ ِشَيْءٍ وَهُوَ عَلَي كُلّ ِشَيْءٍ وَكِيلٌ) [الزمر: 62].

وهذه ألفاظ عامة تدل على خلق اللَّه تعالى لكل شيء مخلوق، فما من مخلوق إلا واللَّه خالقه ويدخل في هذا العموم أفعال العباد، فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان اللَّه سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها وهذا خلاف الآية، ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان، فالإنسان الواحد عين واحدة، لكن له أفعال كثيرة جداً، فلو

(1)مجموع الفتاوى (8/ 459)، (3/ 149)، (14/ 316).

كان اللَّه خالق الأعيان، والناس خالقي الأفعال لكان خلق الناس أكثر من خلقه سبحانه ولكانوا أتم قوة منه وأولى بصفة المدح من ربهم سبحانه وهذا لا يقول به عاقل[1].

وقد أفاض المعتزلة في الرد على هذه الآية وأخرجوا الأعمال من هذا العموم مع أنهم لم يخرجوا القرآن الكريم من هذا العموم فجعلوه مخلوقاً، حتى إنهم جعلوا هذه الآية في الرد على من قال إن خلق أفعال العباد من أنفسهم هو موافقة للمجوس، فقلبوا المعنى وجعلوها رداً على من أثبت خلق اللَّه لأفعال العباد [2].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

- أما الأحاديث فقد وردت عن رسول اللَّهﷺ جملة منها في إثبات خلق أفعال العباد، وسأورد هنا بعضها للدلالة فقط[3].

1- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّهﷺ قال: (احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم، أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك اللَّه بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدر اللَّه عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى) ثلاثاً[4].

وفي هذا حجة على إثبات القدر وأن اللَّه قضى أعمال العباد فكل يصير لما قدر له بما سبق في علم اللَّه، كما أن فيه حجة ظاهرة لأهل السنة في أن أفعال العباد مخلوقة للَّه تعالى، إذ كيف يلحق اللوم على فعل مضى وانتهى واللَّه تعالى هوالذي

(1)الاعتقاد للبيهقي بتصرف (95)، وينظر: شفاء العليل (1/ 203)، وتفسير الطبري (12/ 12).
(2)ينظر: التفسير الكبير للرازي (5/ 95 وما بعدها).
(3)خلق أفعال العباد للبخاري (188 وما بعدها)، وينظر: شفاء العليل (1/ 333 وما بعدها).
(4)رواه البخاري، ك القدر، باب تحاج آدم وموسى عند اللَّه، ح (6614)، ورواه مسلم، ك القدر، ح (2652).

خلقه، ولكن ليس معنى هذا العذر بفعل المعصية لأن اللَّه خلق فعل العبد، وإنما ذكر ذلك تعليلاً لفعل سبق[1].

وبهذا يتبين إجماع أهل السنة والجماعة على القدر وأن ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن وأن اللَّه كتب المقادير وخلق أفعال العباد وقدرها ﷻ.

## المبحث الثالث

## نسبة الفعل إلى فاعله عند أهل السنة

بعد بيان معتقد أهل السنة والجماعة أن اللَّه خالق أفعال العباد فلابد من الإشارة إلى أنهم يعتقدون أن العباد هم الفاعلون لأفعالهم على الحقيقة وأن لهم قدرة عليها وإرادة ومشيئة واختياراً وعلى ذلك فأهل السنة والجماعة يفرقون بين الأفعال الاختيارية والأفعال الاضطرارية، مع أن الكل يقع بتقدير اللَّه وخلقه.

قال الإمام البخاري /: «وقد بين اللَّه قولاً للمخلوقين حين قال: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [الملك: 2]، فأخبر أن العمل من الحياة»[2].

وقال الإمام الطحاوي /: «وأفعال العباد خلق اللَّه وكسب من العباد»[3]، قال الشارح: «فإن قيل: إذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد، فإذاً لا فعل للعبد أصلاً؟ قيل: العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة حقيقة، قال تعالى: (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّـهُ )[البقرة: 197]، وقال تعالى: (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [هود: 36]، وأمثال

(1)شرح النووي (16/ 201)، فتح الباري (24/ 342)، شفاء العليل (1/ 81 وما بعدها).
(2)خلق أفعال العباد (97).
(3)شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (2/ 639).

ذلك»[1].

قال شيخ الإسلام: «فجمهور أهل السنة من السلف والخلف يقولون إن العبد له قدرة وإرادة وفعل وهو فاعل حقيقة واللَّه خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء كما دل على ذلك الكتاب والسنة»[2]. واستدل أهل السنة بعدد من الأدلة التي تثبت نسبة الأفعال إلى فاعليها حقيقة وأن للعباد إرادة ومشيئة ومنها:

1- قال تعالى: (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) [المؤمنون: 63]، وقال تعالى: (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [السجدة: 17]، وقال جل ذكره: (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ) [المطففين: 36]، فهذه الآيات وأمثالها تثبت نسبة الفعل إلى فاعله وأنه يستحق المدح أو الذم عليه.

وبهذه الأدلة يتبين مراد أهل السنة في إثبات خلق اللَّه لأفعال العباد وإثبات أن العبد فاعل لفعله، وهنا بينوا الفرق بين هذين الأمرين بناء على التفريق بين الخالق والمخلوق، فاللَّه تعالى هو الخالق كما وصف نفسه بذلك (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ) [فاطر: 3]، وصفة الخلق قائمة به تعالى، فخلق جل وعلا المخلوقات من الأعيان والأفعال منفصلة عنه بائنة منه، فلا يقوم بذاته تعالى شيء من مخلوقاته، فالخلق فعله تعالى وهو من صفاته القائمة به، والمخلوق أثر ذلك الفعل من أفعاله تعالى، فالمخلوقات ذواتها وأفعالها وصفاتها مخلوقة للَّه تعالى، واللَّهﷻ بذاته وصفاته هو الخالق جل وعلا فأفعال العباد مخلوقة للَّه تعالى مفعوله له وليست هي نفس فعله وخلقه الذي هو صفته جل ذكره[3].

(1)المرجع السابق (2/ 650).
(2)منهاج السنة (3/ 110) ومواضع في الفتاوي (8/ 117) (8/ 459) (3/ 149) (14/ 316).
(3)أفعال العباد للحميدي (85).

## الخاتمة

وبعد.. فقد تبين لنا من خلال هذه الصفحات ما وقع من الخلاف بين عدد من الفرق في مسألة خلق أفعال العباد وكيف هدى اللَّه أهل السنة والجماعة للطريق الصحيح والمنهج السليم من خلال إتباع القرآن الكريم والسنة النبوية، ويمكن اختصار هذه النتائج فيما يلي:

1- أن مراتب القدر أربعة مراتب هي: العلم والكتابة والإرادة والخلق، وقد أنكرت القدرية الأولى مرتبة العلم، وأنكرت المعتزلة مرتبة الخلق والإرادة.

2- أن بداية بدعة القدر ظهرت في أواخر عهد الصحابة رضي اللَّه عنهم وقد أنكروا هذه البدعة.

3- عندما نقول بأن اللَّه هو الخالق لأفعال العباد فإننا لا ننفي أن يكون الإنسان عاملاً مكتسباً يستحق المدح والذم.

4- الجهمية جبرية خالصة تذهب إلى أن العبد مجبور على فعله وأنه كالريشة في مهب الريح لا قدرة له، وليس له أي عمل أو تأثير ولهم في ذلك عدد من الأدلة نظروا إليها من جهة واحدة.

5- ذهبت المعتزلة إلى القول بأن العبد هو الخالق لفعل نفسه بناء على فهمهم الباطل لنصوص الشرع واعتقادهم بأن أفعال العباد التي فيها ظلم وشر لا يمكن أن يخلقها اللَّه تعالى بناء على ظنهم أن هذا من الظلم الذي ينزه اللَّه عنه.

6- ذهبت الأشاعرة إلى الإقرار بخلق اللَّه لأفعال العباد لكنهم سلبوا العبد قدرته وإرادته فجعلوا الفاعل هو اللَّه تعالى وأما العبد فهو كاسب فقط.

7- أما أهل السنة فأثبتوا مراتب القدر الأربعة وأكدوا أن العبد فاعل لفعله على

الحقيقة وأنه ينسب إليه المدح والذم بحسب عمله مستدلين بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

8- أهل السنة جمعوا بين النصوص وأخذوا بها كاملة بينما الفرق الأخرى نظروا لكل نص بناء على أصولهم الباطلة فأبطلوا دلالة النص الذي يخالف رأيهم.

9- هذه المسألة جرَّت على أصحابها تبعات أخرى بحسب رأيهم في خلق أفعال العباد فمن قال بأن اللَّه هو الخالق لفعل العبد، وهو الفاعل له حقيقة جعل العبد مجبوراً، وبالتالي نفى عنه الاستطاعة؛ ومن قال بأن العبد هو الخالق لفعل نفسه أوجب على اللَّه فعل الأصلح ونفى تماماً أن يكلف اللَّه بما لا يطاق، وهكذا فكل خطأ في مسألة جرَّ إلى ما بعدها.

أخيراً أسأل اللَّه أن يهدي ضال المسلمين وأن يعيدهم إلى الحق وأن يلهمنا جميعاً رشدنا إنه جواد كريم.

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.